

التبيان في تفسير القرآن

(37) قوله تعالى: (هم درجات عندا) و(بصير بما يعملون) (163) - آية - المعنى: قيل معنى قوله: (هم درجات عندا) أن تقديره المؤمنون ذووا درجة رفيعة عندا. والكفار ذووا درجة خسيصة. وقيل في معناه قولان: أحدهما - اختلاف مراتب كل فريق من أهل الثواب، والعقاب، لان النار أدراك لقوله: (إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار) (1) والجنة طبقات بعضها أعلى من بعض، كما روي أن أهل الجنة ليرون أهل عليين (2)، كما يرى النجم في أفق السماء. والثاني - اختلاف مرتبتي أهل الثواب، والعقاب بمالهؤلاء من النعيم، والكرامة ولولئك من العذاب والمهانة. وعبر عن ذلك بدرجات مجازا. فان قيل كيف قال: (هم درجات) وانما لهم درجات) وانما لهم درجات قيل، لان اختلاف أعمالهم قد ميزهم بمنزلة المختلفي الذوات كاختلاف مراتب الدرجات لتبعيدهم من استواء الاحوال، فجاء هذا على وجه التجوز، كما قال ابن هرمة انشده سيبويه -: أنصب للمنية تعترتهم * رجالي أم هم درج السيول (3) وقوله: (وا بصير بما يعملون) معناه عليم، وفيه تحذير من أن يتكل على الاسرار في الاعمال ظنا بأن ذلك يخفى على الله، لان أسرار العباد عند الله علانية. وفيه توثيق بأنه لا يضيع للعامل لربه شئ لانه لا يخفى عليه جميعه. _____ (1) سورة النساء: آية 144. (2) في المخطوطة (أ) كما روي أن أهل الجنة ليرون أهل النار يطلعون عليهم فيرونهم كما يرى النجم في افق السماء. والاصح ما في المطبوعة. (3) سيبويه 1: 206، واللسان (درج) ومجاز القرآن لابي عبيدة 1: 107 والخزانة 1: 203 وقد رواه بعضهم: أرجما للمنون يكون قومي *

لريب الدهر أم درج السيول